**الفكر التربوي عند ابن تيمية**

**"بحث في أصول التربية العقدية والاجتماعية الإسلامية كما يفسرها شيخ الإسلام ابن تيمية: دراسة تحليلية ناقدة"**

المؤلف: د. ماجد عرسان الكيلاني.

الناشر: مكتبة دار التراث- المدينة المنورة- الطبعة الثانية- 1407ه/1986م.

عرض: مصطفى نور الدين القاسمي

**مقدمة:**

يتناول هذا الكتاب الفكر التربوي عند عملاق من عمالقة الإسلام، نصب نفسه لخدمة الإسلام، في فترة عصيبة من فترات التاريخ التي مرت بها الأمة الإسلامية. فأراد أن يعود بالأمة إلى سالف مجدها بأن يؤسس لفكر تربوي يستمد أصوله من: القرآن، والسنة، وعمل السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى، بعد أن طال الانحراف الفكر التربوي الإسلامي، لأسباب كثيرة، رصدها هذا الكتاب، الذي كان في الأصل رسالة جامعية موجهة للقارئ الأجنبي، كان موضوعها: الفكر التربوي عند ابن تيمية؛ نقلها المؤلف إلى العربية. وهذه الدراسة تستهدف الإجابة عن الأسئلة الآتية:

* ما طبيعة الأفكار التربوية التي قدمها ابن تيمية؟
* هل طور ابن تيمية نظرية تربوية متكاملة؟ وما العوامل التي أثرت في آرائه في هذا المجال؟
* ما فلسفة التربية عند ابن تيمية؟ وما الأهداف والمناهج والأفكار التربوية التي اقترحها؟
* هل يسمح ابن تيمية بالتجديد والتطوير وتلبية حاجات المستقبل أم يقصر وظيفة التربية على نقل التراث من الماضي إلى الحاضر؟

إن الآثار التي تركها ابن تيمية مازال فيها من الجدة والمرونة ما يؤهلها للإسهام الفعال في النهضة التربوية التي يتطلع إليها العالم الإسلامي اليوم.

ويتكون هذا الكتاب من خمسة أبواب، وواحد وعشرين فصلا كالآتي:

**الباب الأول: مقدمة**، ويشتمل على ثلاثة فصول، تتناول أهمية البحث في الفكر التربوي عند ابن تيمية، وابن تيمية في الدراسات العربية المعاصرة، وابن تيمية في الدراسات الأجنبية.

**الباب الثاني: تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية**، ويشتمل على فصلين: العوامل التي أثرت في تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية، ومظاهر تطور الفكر التربوي حتى أيام ابن تيمية.

**الباب الثالث: حياة ابن تيمية**؛ ويشتمل على خمسة فصول: حياته ونشأته، ومنهاج ابن تيمية في الإصلاح، وأثر ابن تيمية في مجتمعه المعاصر، وردود الفعل المناوئة وأسبابها، ومحنة ابن تيمية ووفائه.

**الباب الرابع: آراء ابن تيمية في التربية؛** ويشتمل على أحد عشر فصلا: فلسفة التربية، والأهداف العامة للتربية، والمنهاج، ولغة التعليم، وطرق التربية وأساليبها، وآداب العالم والمتعلم، والتراث والتربية، والانفتاح على خبرات الآخرين، ومنهج المعرفة، وإلزامية نشر التعليم، ونقد الفكر التربوي المعاصر.

**الباب الخامس: خلاصة،** ويشتمل على ملاحظات وإسهامات.

**ملخص الكتاب**

**الباب الأول: مقدمة**

**الفصل الأول: أهمية البحث في الفكر التربوي عند ابن تيمية**

البحث في الفكر التربوي عند ابن تيمية أمر هام وضروري لسببين:

**الأول؛** أن ابن تيمية هو أحد مشاهير أعلام الفكر الإسلامي. ومازالت تعاليمه وآراؤه تبعث الحركة والنشاط في الحياة العقلية والثقافية كلما ضربها الركود وآلت إلى الجمود؛ ولذلك ظلت هذه التعاليم تؤثر في الذين قادوا حركات التجديد والإصلاح منذ أيامه حتى العصر الحديث. على أن تأثير ابن تيمية بدأ في ميدان العقيدة والفكر السياسي، ثم امتد إلى الميدان التربوي. وانعكس تأثير ابن تيمية في مجال الفكر التربوي في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده التي تضمنت ما يمكن اعتباره فلسفة تربوية وآداب المتعلم؛ هذا في الجزيرة العربية.

أما عن تأثير الفكر التربوي لابن تيمية في مصر والشام، فقد كان أول من عكس هذا التأثير كل من الشيخ محمد عبده، وتلميذه السوري محمد رشيد رضا من خلال "مجلة المنار".

وكان تأثير الفكر التربوي لابن تيمية عميقا في المغرب العربي ومؤثرا في مجابهة محاولات الابتلاع الثقافي والحضاري الذي خططت له إدارة الاستعمار الفرنسي آنذاك.

وفي الربع الثاني من القرن العشرين الميلادي بدأت أفكار ابن تيمية تدخل المغرب العربي عن طريق الحركة السلفية في مصر، فوجدت صداها في الشيخ عبد الحميد بن باديس، وجمعية العلماء بالجزائر.

وانتقلت أفكار ابن تيمية إلى مراكش عن طريق مصر منذ الثمانينيات على أيدي الطلبة المغاربة الذين درسوا في الأزهر. وفي تونس قامت نفس النشاطات التربوية لمقاومة الابتلاع الثقافي الفرنسي.

وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، أخذ تأثير ابن تيمية يتجاوب صداه في مختلف الأقطار العربية والإسلامية، وأبرز من عكس هذا التأثير مدرستان: مدرسة أبي الأعلى المودودي، ومدرسة مالك بن نبي. ومن أبرز مفكري هذه المدرسة سيد قطب.

أما عن المدرسة الأولى، فإن أثر ابن تيمية يبدو واضحا جدا في التفكير السياسي لهذه المدرسة، وخاصة في تفكير أشهر مفكريها: المودودي وسيد قطب.

أما بالنسبة للمدرسة الثانية مدرسة مالك بن نبي، فقد التزمت بأمرين: منهاج النقد الذاتي، وفحص التراث الذي يُوجد "قابلية الهزيمة" أو "قابلية الاستعمار". ومن أبرز مفكري هذه المدرسة جودت سعيد.

**والسبب الثاني:** الذي يجعل دراسة الفكر التربوي عند ابن تيمية أمرا هاما وضروريا هو أن الدوائر التربوية المعاصرة في العالم العربي تبينت بعد تجربة طويلة في الميدان التربوي ضرورة الاعتماد على الأصول الإسلامية في بناء أنظمتها وأنشطتها التربوية.

وفي العصر الحديث نال ابن تيمية كثير من اللمز والطعن من بعض المستشرقين الذين كان دافعهم إلى ذلك مشاعر الحقد والانفعال بسبب ما شاهدوه من أثر ابن تيمية في مقاومة الجهود الثقافية للبعثات التبشيرية في العالم الإسلامي.

وفي العقد الأخير، بدت صورة ابن تيمية تتضح أكثر فأكثر في مراكز الدراسات الإسلامية في أوروبا وأمريكا، حيث أخذ الباحثون يعطون الرجل مكانته ويقدرونه حق قدره.

**الفصل الثاني: ابن تيمية في الدراسات العربية المعاصرة**

الدراسات العربية والإسلامية التي تناولت ابن تيمية بدأت بوقت مبكر منذ أيام تلاميذه وأتباعه. أما في العصر الحديث فقد قام عدد من الكتاب بدراسة جوانب مختلفة من فكر شيخ الإسلام. ويلاحظ على كتاباتهم هذه أنها عكست الجوانب التي احتاجتها طبيعة المرحلة التي كانت تمر بها المجتمعات العربية والإسلامية في زمان كل كاتب. فركز الباحثون في مرحلة على أفكاره في الجهاد والإصلاح الاجتماعي. وركز آخرون في مرحلة ما بعد الاستقلال على دوره في الميادين التشريعية والسياسية. وكتب مفكرون آخرون عن دوره في الإصلاح والدعوة. قال المؤلف: " وفي تقديري أن الرجل (ابن تيمية) مازال لم يدرس الدراسة التي يستحقها". (وقلت: هذا الكلام قرره المؤلف في أواخر السبعينيات، ولا شك أن هناك دراسات كثيرة – بعد هذا التاريخ- تناولت أعمال ابن تيمية، قام بها عدد كبير من الباحثين).

**الفصل الثالث: ابن تيمية في الدراسات الأجنبية المعاصرة**

منذ مطلع هذا القرن بدأ الاهتمام بدراسة ابن تيمية في المعاهد المختصة بالدراسات العربية الإسلامية في أوروبا وأمريكا؛ ولقد مرت هذه الدراسة بمرحلتين: الأولى؛ منذ أواخر القرن الماضي حتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين. وكانت دراسات هذه الفترة متأثرة بمشاعر الاتجاهات السلبية التي كانت توجه الحركة الاستشراقية عامة.

أما المرحلة الثانية: فقد بدأت خلال السبعينيات من القرن الميلادي، حيث خرجت أبحاث تتبع أسلوبا أقرب إلى الموضوعية وتفهم المواقف والظروف. وأن ابن تيمية ضحية التشويه والتزوير والهوى، وبخاصة في موقفه من الصوفية، والبدعة.

وتعددت الدراسات الأجنبية التي قامت على فكر ابن تيمية في صورة بحوث ومقالات. وهناك عدد من رسائل الدكتوراه التي كتبت عن ابن تيمية في عدد من الجامعات الأمريكية.

**الباب الثاني: تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية**

**الفصل الرابع: العوامل التي أثرت في تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية**

1. **إستراتيجية الفتوحات الإسلامية**

لابد من إحاطة كاملة بدور التربية في إستراتيجية الفتوحات الإسلامية؛ لأن هذه الفتوحات قامت على عقيدة الإسلام التي اعتبرت الأمة الإسلامية مسؤولة عن إخراج الشعوب من الجاهليات إلى حياة إسلامية تترجم فيها نصوص القرآن والسنة إلى تطبيقات وأعمال، ومشاعر وأخلاق وأنظمة. طبقا لإستراتيجية واضحة تتكون من المراحل التالية:

المرحلة الأولى: دعوة رؤساء الأمم وقادة الشعوب للأخذ بمبادئ الإسلام وتربية شعوبهم وإقامة نظم حياته عليه.

المرحلة الثانية: مرحلة الجهاد العسكري لإزالة الحواجز عن طريق الدعوة الإسلامية.

المرحلة الثالثة: مرحلة تربية شعوب الأقطار المفتوحة تربية إسلامية.

المرحلة الرابعة: مرحلة الشعوب وإسهامها في نشر الإسلام وتربية الشعوب الأخرى. وهذه الإستراتيجية تلائم الطبيعة الجغرافية للأقطار التي دخلها الفتح الإسلامي. فالعرب سكان صحاري، حملوا الدعوة حتى مشارف القطاعات الجبلية والبحرية، حيث توقفوا وسلموا الراية للشعوب التي نضجت إسلاميا في فارس وإفريقيا.

1. **حركات الشعوبية المضادة**

في الوقت الذي كانت مؤسسات التربية الإسلامية تعمل طبقا للدور المحدد لها في إستراتيجية الفتح الإسلامي، كانت سلالات الأرستقراطيات المهزومة من الأكاسرة والقياصرة وكهنة الزرادشتية والمجوسية وأحبار اليهود والنصارى والزعامات المحلية تقاوم هذه الإستراتيجية بنفس أسلحتها، وتعمل جادة لإفساد عملها وتخريب ثمرتها.

ولكنها هذه المرة ظللت نشاطاتها بطلاء إسلامي، فاستعملت المصطلحات الإسلامية، واندست تحت مظلة "التشيع" الذي بدأ كظاهرة سياسية لا تتعدى القول بأحقية الخلافة. واندست في صفوف التصوف، وابتدعت تحت مظلته معتقدات تجعل من قادتها- أولياء مقدسين- رفعت بعضهم إلى منزلة تحل محل الرسول في تلقي الوحي والإلهام. واندست في صفوف الفلسفة التي دخلت على المسلمين من ترجمات الفلسفة اليونانية، وابتدعت مظلة الفلسفة مقولات تجعل من قادتها فلاسفة حكماء يساوون الأنبياء.

ولكن هدف هؤلاء الأئمة الجدد، والأولياء الجدد، والفلاسفة الجدد، هو استعادة الإمساك بزمام القيادة والهيمنة على مقدرات الجماهير التي فقدها أسلافهم من الأكاسرة والكهنة وأمثالهم. وفي كل هذه المواقع لجأت هذه الجماعات إلى سلاح الفكر والتربية، وابتدعت من التعاليم ومناهج المعرفة وأساليب التربية ما يمكنها من انتزاع التوجيه والإرشاد من المؤسسات التربوية الإسلامية. وأكثر من جسَّد هذه المقولات التربوية هم الباطنية الإسماعيلية الذين نشطوا بين مثقفي المسلمين وعوامهم ونظموا جمعية سرية استطاعت إقامة الدولة الفاطمية في تونس ومصر.

**ج- التفاعل مع ثقافات البلاد المفتوحة وظهور علوم جديدة**

منذ القرن الثاني نشطت الترجمة في مختلف الميادين العلمية تصاحبها رغبة شديدة في الاطلاع على ما في تراث الأمم الأخرى من معارف وعلوم. كما دخل في الإسلام كثير من غير العرب الذين نشؤوا وتربوا على ثقافاتهم الأولى، وجد حاجات جديدة للأقطار المفتوحة، فكان لذلك كله أثر كبير في الفكر التربوي آنذاك. وكان من نتيجة هذه الآثار أن برزت فرق ومذاهب أنجبت أبرز مفكريها. فكان هناك المعتزلة، والأشاعرة، والصوفية. ودخلت الفلسفة الحياة الفكرية.

وفي منتصف القرن الرابع الهجري ازدهرت في البصرة مدرسة فلسفية عرفت باسم" إخوان الصف" امتزجت بفرقة الإسماعيلية وخلطتها بتعاليمها، وتضافر الفريقان لقلب النظام العباسي القائم، وكان سلاحهما في ذلك التربية والتعليم.

**د- المذاهب والتعصب المذهبي**

الأصل في هذه المذاهب أنها برزت كمدارس فكرية لبّت حاجات المجتمعات الإسلامية والأقطار المفتوحة في ميادين الفقه ونظم الحياة. ومنذ القرن الرابع الهجري أخذت تتحول إلى مذاهب شبيهة بالتجمعات الحزبية. ومنذ القرن الخامس الهجري بدأت المذاهب تتحيز داخل أطرها الخاصة، وانتقلت من الولاء للفكرة إلى الولاء للتجمع والانتماء المذهبي. وخلال القرنين السادس والسابع الهجريين انتشر التعصب المذهبي واستحكم، وتقرر التقليد كقاعدة لا تقبل المناقشة. وفي عهد المماليك تعززت المذهبية بسلطة الحاكمين ومراسيم الدولة؛ باتباع المذاهب السنية الأربعة وتحريم ما عداها.

**الفصل الخامس: مظاهر تطور الفكر التربوي حتى أيام ابن تيمية (ظهور المدارس التربوية)**

من أهم مظاهر الفكر التربوي في العصور التي سبقت عصر ابن تيمية المدارس التربوية التي تطورت خلال القرون الثلاثة الأولى؛ وأخذت شكلها المتميز في القرن الرابع الهجري: مدرسة الفقهاء والمحدثين، ومدرسة الصوفية، ومدرسة الفلاسفة والعلوم الطبيعية.

**مدرسة الفقهاء والمحدثين:** مرت هذه المدرسة بمرحلتين: الأولى مرحلة الاتفاق بين المحدثين والفقهاء خلال القرن الثالث، والثانية مرحلة تباين الطرفين في الرأي في القرن الرابع. والواقع أن الخلاف بين المحدثين والفقهاء يشير إلى مشكلة معينة لو استطاع الفكر التربوي الإسلامي أن يتخطاها آنذاك لتجنب أسباب الجمود التي أصابته فيما بعد.

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين استحكم التقليد والمذهبية، وتميز الفكر التربوي لدى هذه المدرسة بأمرين: الأول؛ ضيق مفهوم المنهاج، والثاني؛ عدم الانفتاح وركود الفكر التربوي وعدم تجاوبه مع متطلبات العصر. وترتب على هذا المفهوم الضيق للمنهاج اضطراب التوازن بين العلوم الدينية والعلوم الطبيعية. وبالإجمال فإن الموقف الذي التزمته مدرسة الفقهاء قبيل ظهور ابن تيمية تميز بالسلبية والجمود إزاء حاجات العصر وإزاء التحديات التي واجهت الفكر الإسلامي آنذاك.

**مدرسة الصوفية:**

يعتبر المحاسبي (ت 243ه) أول من أرسى أسس الفكر التربوي للمدرسة الصوفية. فالتربية عند المحاسبي لتصحيح عمل النفس وتحرير قوى العقل من قيود الشهوات النفسية. وأدت أفكار المحاسب إلى ظهور عدد من المدارس الصوفية؛ كالمدرسة الجنيدية، والمدرسة النورية، والمدرسة النيسابورية وغيرها. لكن عوامل التطور عملت عملها وانبترت هذه المدارس الصوفية من التقيد بالضوابط العقدية والسلوكية، الأمر الذي مهد لظهور اتجاهات الحلول والسلوك الشاذ، والدروشة، والطرق.

وفي القرن الخامس الهجري عمل أبو حامد الغزالي على إصلاح مدرسة الصوفية وردها إلى أصولها السابقة. وقد تأثر في عمله (إحياء علوم الدين) تأثرا كبيرا بالحارث المحاسبي. وقامت بعد الغزالي مباشرة حركة واسعة من الإصلاح التربوي عملت على تطبيق أفكاره التربوية في مؤسساتها التي أقامتها. وكان من أبرز قادة هذه الحركة الشيخ عبد القادر الكيلاني، وعدي بن مسافر، وأحمد الرفاعي، والمغربي، وغيرهم. وقد أدى جميع هؤلاء دورا بارزا في إخراج جيل صلاح الدين الأيوبي الذي أدى دوره التاريخي المعروف.

ولكن الغزالي أعطى الإلهام منزلة غير منزلته، حيث وضع الإلهام في منزلة منهج المعرفة نفسه، فوضع النتيجة موضع الوسيلة، وقدم هذا الإلهام على أنه منهج المعرفة الصوفي، وأنه الطريق الوحيد لمعرفة الصواب والسعادة في الدنيا والآخرة. ولقد كان لهذا الخطأ في الاستنتاج والتحليل آثاره الخطيرة فيما بعد. فقد جاء ابن عربي (ت 631ه) وفصل النتيجة عن السبب، أي أنه فرق بين منهاج التربية السني وبين ثمرته في الفهم والإلهام. وطور في منهج الإلهام حتى صار منهاجا مستقلا موازيا لـ (منهج الوحي) عند الرسل؛ وكان من ثمرات هذا المنهج لديه أن طرح نظرية خاصة للتربية انحرفت بالصوفية عن مسارها ودورها الاجتماعي. فلم تعد التربية الصوفية تزكية للنفس، وإنما صارت تقديسا للأولياء والأحياء منهم والأموات. وبحثا عن الكرامات وعدلت فئات عن الزهد إلى الرذيلة.

ولقد قدر لابن تيمية أن يشاهد ذلك كله؛ فشن عليهم حملة عنيفة وتحداهم في مواقف كثيرة، وأفرد لهم أجزاء وكتبا من تصانيفه ورسائله.

**مدرسة الفلاسفة:**

نشأت هذه المدرسة في القرن الرابع الهجري بتأثير عاملين اثنين: الأول، تأثير الفلسفة اليونانية التي بدأت تتسرب إلى الحياة العقلية خلال ترجمات العلوم الطبيعية والرياضيات. والثاني، فشل مدرسة الفقهاء والمحدثين في بلورة نظرية تربوية متكاملة. ولقد كان الطابع العام لهذه المدرسة في البداية هو محاولتها التوفيق بين الدين والفلسفة؛ أما في ميدان التربية فأقدم من تناول هذا الموضوع هم إخوان الصفا. وأشهر من كتب في التربية الفلسفية بعد إخوان الصفا هو ابن سينا (ت 428ه). الذي أعطى نظرية المعرفة عند الفلاسفة طابعا جديدا مناقضا لمنهج النبوة والرسالة في الإسلام.

ويمكن تلخيص الخصائص العامة للأوضاع التربوية زمن ابن تيمية كما يلي:

1. بالرغم من زيادة عدد المدارس، وانتشار التعليم العالي، فقد كانت جميع المدارس القائمة مذهبية الطابع.
2. التفَّ أتباع كل مذهب حول شخصية معينة حية أو ميتة، وسلموا بما يمليه المذهب تسليما مطلقا ورفضوا غيره.
3. اعتبر الفقهاءُ الصوفيةَ طوائف منحرفة ضالة، بينما نعت الصوفيون الفقهاء بأنهم مقلدون، يعبدون الأوراق والحروف، واستخفوا بعلومهم، وهوّنوا منها في نظر مريدهم.
4. وخلال هذا الالتزام المذهبي والانغلاق الذي رافقه جمدت المفاهيم التربوية وتوقفت عن التفاعل مع حاجات البيئة، وأصبحت تربية الفرد مجور المناهج والأساليب والمؤلفات.
5. وخلال هذه التطورات في المنهاج السني، طوَّر الشيعة مفاهيمهم التربوية الخاصة، ووجدت طائفة ترجمت هذه المفاهيم إلى أعمال وأساليب، وهذه الطائفة هي طائفة الباطنية الإسماعيلية التي كان لها وجود قوي في سوريا، حيث نشأ ابن تيمية وعاش. ولقد شكل الباطنية الإسماعيلية تحديا خطيرا للسنة في ميادين التربية والتعليم، إلى جانب التحدي العسكري.

لقد قدر لابن تيمية أن يواجه جميع هذه الأوضاع في ميدان التربية والتعليم وفي بقية الميادين الأخرى. وكان قدره أن ينهض ويقضي حياته كلها في مواجهة هذه التحديات.

**الباب الثالث: حياة ابن تيمية**

**الفصل السادس: نشأته وحياته**

ولد تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية في مدينة حران في شمال سوريا في ربيع الأول عام 661ه/ 1263م. في عام 667ه غادر الطفل ابن تيمية مدينة حران مع والديه وإخوته الثلاثة هربا من الهجمات المغولية، حيث استقرت الأسرة في مدينة دمشق. واشتهر ابن تيمية بقوة حفظه وذكائه، فحفظ القرآن والحديث، وسمع مسند ابن حنبل عدة مرات، ثم تنقل بين مختلف شيوخ الحديث، حيث روي أنه جلس إلى حوالي مائتين من حفاظ الحديث. كذلك أحاط ابن تيمية بعلوم اللغة والفقه والتفسير، وتخصص بالفقه الحنبلي، وأحاط بآثار الإمام الخلال، وبآثار موفق الدين بن قدامة، وآثار جده مجد الدين أبو البركات ابن تيمية صاحب كتاب (المحرر والمنتقى) أحد المراجع الرئيسة لدى الحنابلة في ذلك الوقت. وإلى جانب هذه الدراسة الحنبلية درس ابن تيمية المذاهب والفرق الأخرى، وأحاط بعلومها.

**اشتغاله بالتدريس:**

في عام 683ه/ 1284م بدأ ابن تيمية عمله في التدريس بدمشق نيابة عن والده، وكان ابن تيمية في سن الثانية والعشرين. وقد حضر درسه كبار العلماء، وأعجبوا بأسلوبه، وأدهشهم معرفته وأفكاره، الأمر الذي مهد له التدريس في المسجد الأموي في نفس العام. ومنذ ذلك الوقت بدأت شهرته والإقبال عليه. وفي عام 695ه/1296م تولّى ابن تيمية التدريس بالمدرسة الحنبلية، أقدم مدارس الحنابلة بدمشق. كذلك تسلم منصب التدريس في أكبر مدرسة حنبلية في القاهرة لثلاث سنوات بدءا من عام 709ه. ثم عاد إلى دمشق ليعمل في التدريس بقية حياته. ولم يقتصر ابن تيمية على التدريس في المدارس والمساجد، وإنما كانت له حلقاته في بيته. وشملت الآثار التي تركها ابن تيمية موضوعات في العقيدة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية والتشريع والأخلاق والتصوف والفقه وغير ذلك.

**ثقافته وبيئته العامة:**

كان ابن تيمية دائرة معارف واسعة احتوت إلى جاني العلوم الدينية؛ معرفة مفصلة في الفلسفة والمنطق والتاريخ والآداب والرياضيات والفلك وعقائد الفرق والأديان وسائر فروع المعرفة في زمانه.

في المرحلة الأولى أو مرحلة التكوين- تأثر بالتراث الفكري الذي خلّفه التيار الحنبلي الإصلاحي؛ الذي ابتدأ بالمدرسة القادرية التي أسسها الشيخ عبد القادر الكيلاني، ثم أنجبت هذا العدد الهائل من العلماء والمفكرين الذين أسهموا في حركة البعث الإسلامي التي تمثلت في جيل نور الدين وصلاح الدين. وابن تيمية متأثر في الفقه بمنهج ابن قدامة وبمنهج جده وواله وغيرهم.

وفي المرحلة الثانية- مرحلة النضوج- أخذ ابن تيمية يصدر أفكاره وثقافته عن استعدادات مستقلة ومؤهلات متميزة، وتخطى حدود الانتماء المذهبي إلى دائرة الانتماء الإسلامي الواسع الذي يضم في دائرته الأئمة والمدارس الفكرية، وارتقى إلى مرتبة الاجتهاد والاتصال المباشر بالقرآن والسنة. ويقول عن نفسه:" إني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي...".

ولابد من الانتباه إلى عامل الخبرات الشخصية في حياة ابن تيمية وأثر هذه الخبرات في تكوينه الفكري والنفسي. فابن تيمية هو أحد أفراد جيل نشأ في محاضن النكبات والهزائم. وهو بحكم قدراته العقلية واستعداداته النفسية وتكوينه العلمي قفز إلى صف القيادة الفكرية، وأصبح لسانا ناطقا لهذا الجيل ومعبِّرا عن إصراره في التحدي والمجابهة. فقبل ولادة ان تيمية بخمس سنوات غزا المغول بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية، وأعملوا السيف في سكانها. واستمرت زحوفهم نحو الغرب حتى وصلت إلى بلدة الطفل ابن تيمية، فهام على وجهه حيث لجأت أسرته مع اللاجئين إلى دمشق، وكانت هذه التجربة سببا في أن جعلت ابن تيمية يكرس حياته لمعالجة أسباب الضعف الذي سهل مهمة الغزاة.

أما من الناحية الاجتماعية فقد رأى ابن تيمية المظالم وقد شاعت، ورأى الضرائب والإتاوات، وصاحب ذلك انتشار المفاسد الأخلاقية وتعاطي المسكرات ومظاهر اللهو.

كذلك سيطر الباطنية الإسماعيليون على شمال سوريا، وبثوا الرعب في المجتمعات الإسلامية، وقاموا بمئات الاغتيالات للقادة والعلماء والسلاطين.

أما من الناحية الثقافية فقد كانت معتقدات المسلمين وعقولهم فريسة التشويه والانحراف اللذين ضربا بساطة العقيدة الإسلامية في نفوس عامة الناس، وحل محلها كثير من الخرافات المتعلقة بتقديس أضرحة الاولياء والمزارات المختلفة، وصاحب ذلك كثير من الممارسات والبدع السيئة.

كذلك ضرب التقليد والمذهبية الفقهاء المعاصرين ودور العلم وأتباع المذاهب، ونتج عن ذلك كله عصبية مذهبية، وشاع الإرهاب الفكري، وانتشرت الاختلافات العقائدية، والمنازعات المذهبية، وما صاحبها من خصومات واضطراب. وصارت الجماعات في المسجد الواحد تتعدد حسب الانتماءات المذهبية. كذلك انتشرت الطرق الصوفية المنحرفة.

أما من الناحية السياسية، فقد كانت بلاد الشام تابعة لدولة المماليك الذين جعلوا عاصمتهم في مدينة القاهرة. وفي كلا القطرين عانى الحكم المملوكي من عدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات، والوصول إلى السلطة بالقوة العسكرية.

شاهد ابن تيمية كل هذه الرزايا في الحياة الإسلامية وتأثر بها، وانعكست هذه التأثيرات على تفكيره وإنتاجه العلمي ونشاطاته ومنهاجه في الإصلاح.

**الفصل السابع: منهاج ابن تيمية في الإصلاح**

حمل ابن تيمية على كاهله محاربة جميع الانحرافات والبدع والشرور، التي أجملناها فيما مضى، وجدَّ في رد حياة المسلمين وعقائدهم إلى ما كانت عليه أيام السلف الصالح. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف كان لزاما عليه أن يصطدم بحماة التقليد والجمود ورعاة الخرافة والفساد. أما ميادين الإصلاح التي تناولها، فكانت كما يلي:

1. **الدعوة للإصلاح السياسي:**

ركز ابن تيمية في هذا المجال على أمور ثلاثة: الأول، بناء تصور سليم للحكم الإسلامي. والثاني، إقامة حكومة قوية، والثالث، بعث روح الجهاد والمقاومة لمواجهة الأخطار الخارجية.

ويتضمن كتابا: "السياسة الشرعية"، و" الحسبة في الإسلام – **الجانب الأول** من آراء ابن تيمية في الإصلاح السياسي. وأن الدين والدولة لا يمكن الفصل بينهما. وبدون قوة الدولة يتعرض الدين للخطر، وبدون دعائم الشريعة تنقلب الدولة إلى مؤسسة ظالمة. أما **الجانب الثاني** في الإصلاح السياسي عند ابن تيمية؛ مثلته محاولاته لإقناع أمراء المماليك بأفكاره ومشروعاته حول الحكومة القوية التي يجب بناؤها؛ وفي سبيل هذا الهدف كانت علاقاته بأمراء المماليك وصلاته بعدد منهم.

أما **البعد الثالث** من برنامج ابن تيمية، فكان مشاركته في مقاومة الأخطار الخارجية وتعبئة روح الجهاد.

وحينما ظهر الخطر المغولي من جديد عام 700ه/1300م، نهض ابن تيمية ليحرِّض الناس على الجهاد، وذهب إلى القاهرة يسأل السلطان محمد بن قلاوون الدفاع عن الشام.

وفي عام 702ه/ 1302م حين لاح خطر المغول ثالثة كان ابن تيمية في الصف الأول من المعركة، وكان لوجوده الأثر الكبير في الانتصار في معركة "شقحب".

وفي كل من عامي: 699ه،704ه شارك ابن تيمية في الحملة ضد الإسماعيلية في جبل كسروان، الذين كانوا يتعاونون مع الصليبيين والمغول.

1. **الدعوة للعدالة الاجتماعية:**

اعتبر ابن تيمية أن الواجبات الدينية جزء مكمل للحياة الاجتماعية، وأن أركان الإسلام الخمسة تتجسد في العدل الاجتماعي. كذلك دعا إلى تحديد أسعار البضائع وأجور الخدمات في حالات عديدة. ولتوفير جميع الحاجات وتأمين الحصول عليها في المجتمع يجب إقامة نظام خاص للمراقبة الاجتماعية تديره مؤسسة خاصة. ويقدم كتاب "الحسبة في الإسلام" إطارا مفصلا لهذا النظام الذي يغطي كل مظاهر الحياة الدينية والدنيوية والمعاملات التجارية والحرف المهنية والخدمات العامة. ويكمل هذا كله الانتباه الخاص الذي أولاه ابن تيمية للتربية والتعليم؛ لأنها الأساس الأول في إقامة مجتمع متجانس التكوين والمعتقدات والقيم والعادات.

**ج- محاربة انحراف الصوفية وجمود الفقهاء**

ابن تيمية ليس عدوا للتصوف والحياة الروحية، فقد كان يحترم شيوخ الصوفية القدامى الذين التزموا بالكتاب والسنة في زهدهم وتجردهم. ولكن ابن تيمية لا يتسامح مع متأخري الصوفية الذين نبذوا نهج الأوائل وضلوا السراط المستقيم، وشوهوا معنى الجهاد. أضف إلى ذلك ما دخل التصوف من عقائد ضالة وعادات فاسدة شوهت معنى الحياة الروحية.

كذلك أدان الفقهاء الذين أساؤوا تفسير آيات القرآن، وأحاديث الرسول لغايات دنيوية. وأدان انتشار التقليد بينهم، وانقطاعهم عن المنابع الأصلية، وتعلقهم برجال المذهب وكتب المذهب، وجمود الفهم لديهم.

**الفصل الثامن: أثر ابن تيمية في مجتمعه المعاصر**

لا شك أن ابن تيمية كان مجدد عصره ورائد الإصلاح فيه، وبطل الجماهير المسلمة آنذاك، فكانت شعبيته تحرك الجماهير ضد معارضيه، وضد الاتجاهات التي يدينها.

وفي خضم التيارات الفكرية المتصارعة وتيارات التقليد المذهبي، وتيار الباطنية والفلسفة، كان المثقفون يهرعون إلى ابن تيمية للاستفسار عما يلتبس عليهم. ولهذا كتب العقيدة الواسطية، والرسالة التدمرية، والرسالة الحموية، بناء على أسئلة يريد أصحابها جوابا منه.

**الفصل التاسع: ردود الفعل المناوئة وأسبابها**

يمكن أن نلخص الأسباب الحقيقية لخصوم ابن تيمية في ثلاثة أسباب:

الأول: حسد الأقران من الفقهاء والقضاة ورجال المذاهب.

الثاني: رغبة المتآمرين على دولة المماليك في تصفية عناصر القوة ورجال الإصلاح.

الثالث: طبيعة العلاقات بين سلاطين المماليك وأمرائهم، وبين ابن تيمية.

ويمكن إجمال الذرائع التي استعملت ضد ابن تيمية بما يلي:

1. عقيدة التجسيم: بدأ الفقهاء والقضاة من حاسدي ابن تيمية يحللون كل كلمة له، لتفسيرها تفسيرا مغرضا، وليجدوا سببا لإدانته، حتى اتهموه بالتجسيم؛ وأن الله يتنزل عن عرشه تنزل الإنسان عن كرسيه، وأن له مكانا يحصره.
2. انتقاد الصوفية. ولم يكن ابن تيمية وحيدا في هذا الانتقاد.
3. انتقاد زيارة أضرحة الأولياء والبدع التي شاعت في الأعياد والمواسم عامة. وخاصة أن المماليك كانوا حريصين على كسب التأييد الشعبي لنظامهم، وفي سبيل ذلك اعتنى رجال السلطة بتنظيم زيارة قبور الأولياء، وبناء الأضرحة والتكايا.

وأخيرا، فمن الواضح أن أفكار ابن تيمية ونشاطاته أزعجت مختلف الأطراف، وأصبح الصراع مع قوى المحافظة والتقليد أمرا لا مفر منه. ولقد كان السجن المتكرر هو الثمن الذي دفعه ابن تيمية وهو يحاول اجتثاث جذور الضعف والانحراف التي ضربت المجتمع الإسلامي في عصره.

**الفصل العاشر: محنة ابن تيمية ووفاته**

في الفترة الواقعة بين 693 - 728 ه أدخل ابن تيمية السجن ست مرات على فترات متقطعة، بلغ مجموعها ست سنوات.

ولقد اعتقل أول مرة عام 693ه على إثر حادثة عساف النصراني الذي اتهم بشتم الرسول صلى الله عليه وسلم. وفي علم 705ه حرك أعداء ابن تيمية الصوفية الرفاعية أو الأحمدية فاشتكوه إلى السلطان وطلبوا أن يكف ابن تيمية عن انتقادهم والتعرض لهم.

اعتقل ابن تيمية وأرسل إلى القاهرة، وعقد مجلس بمرسوم السلطان لسؤال ابن تيمية عن اعتقاده. وانتهت المجالس الثلاثة، وأدخل ابن تيمية السجن، وصدر منشور من السلطان يهدد كل من تبنى أفكار ابن تيمية، فستكون عقوبته السجن. وفي عام 707ه أدخل ابن تيمية السجن للمرة الثالثة، وكانت الذريعة المعلنة مهاجمته لعقيدة ابن عربي والصوفية. وقضى في السجن عاما واحدا.

وفي عام 708ه نفى ابن تيمية إلى الإسكندرية؛ وكان سبب نفيه شعبيته في سوريا، والأثر الذي تركه في السجناء. وفي عام 718ه أودع ابن تيمية السجن، وكانت الذريعة المعلنة هي فتواه بشأن طلاق المكره. وفي عام 720ه أعيد للسجن من أخرى بسب بعض أفكاره.

وكان السجن الأخير لابن تيمية في ١٦ شعبان 726ه على يد صديقه وتلميذه السلطان الملك الناصر قلاوون، وكانت الذريعة المعلنة تعود إلى عام 710ه، حيث قيل إن ابن تيمية -في تلك السنة - كان قد هاجم زيارة أضرحة الأنبياء والأولياء. ولعل السبب الحقيقي يكمن في إحراج ابن تيمية لقلاوون بعد وصول الأخير إلى السلطة والتصرف معه تصرف المرشد مع تلميذه.

ولعل قسوة المعاملة التي تلقاها ابن تيمية وأتباعه هذه المرة تكشف عن مدى ضيق السلطان منه، فقد اعتقل هو وأتباعه وتلاميذه، ثم تبع ذلك صدور بلاغ موقَّع من السلطان قلاوون تضمن مهاجمة آراء ابن تيمية، وأنها تخالف عقائد السلف وتتناقض مع إجماع العلماء وأولى الأمر، وتشوش عقول العامة. وكذلك تضمن البلاغ منعا لتداول موضوعات ابن تيمية والتهديد لمن يفعل ذلك بالموت؛ وإجبار الحنابلة على شجب هذه الآراء أو الحكم عليهم بالسجن.

وألقي ابن تيمية في السجن بلا أوراق ولا كتب ولا قلم، الأمر الذي أوقعه في الأسى والحزن الشديدة، فمرض مدة قصيرة، ثم توفي في السجن عام 728ه. وهكذا طويت الصفحة الأخيرة من حياة هذا المفكر الجليل والمجاهد المخلص.

**الباب الرابع: آراء ابن تيمية في التربية**

تتميز آراء ابن تيمية في التربية بثلاثة أمور هي:

الأول: أنه ركز على مفاهيم أساسية تتصل اتصالا مباشرا بأصول التربية مثل: فلسفة التربية، وأهدافها، والمنهاج، وعلاقة التربية بالثقافة، والتراث، إلى غير ذلك من الموضوعات.

والثاني: أن ابن تيمية في كل تقريراته التربوية إنما كان ينطلق من التزام راسخ بما جاء في القرآن والسنة، باعتبارهما المصدر النقي والموجه الصحيح لأي نشاط تربوي.

والثالث: أن البحث في ميدان التربية عند ابن تيمية كان استجابة لمعالجة الانحرافات التي ضربت مؤسسات التربية الإسلامية ومناهجها، ولبلورة البدائل الفكرية والتربوية التي تقوي هذه الانحرافات وتعالجها.

**الفصل الحادي عشر: فلسفة التربية**

الأساس الذي تقوم عليه فلسفة التربية عند ابن تيمية هو أن العلم النافع هو أساس الحياة الرشيدة الفاضلة. والعمل بهذا العلم هو الذي يقيم هذه الحياة ويمنحها البقاء والاستمرار. وبدون ذلك تطبع حياة الإنسان بالضلال الذي هو العمل بغير علم، وبالغيّ الذي هو اتباع الهوى.

والعلم النافع الذي تقوم على أساسه الحياة الراشدة الفاضلة هو الذي يقوم على دعائم صحيحة مستمدة من الخالق، وتنسجم مع حقائق الخلق وتكوين الإنسان الفطري والقوانين التي تنظم الكون والحياة.

أما هذه الدعائم، فهي:

1. **التربية والتوحيد:** فمن التوحيد- عند ابن تيمية- تستمد التربية أهدافها ومناهجها وأساليبها وأنشطتها. وبه تؤتي التربية ثمارها.
2. **التربية وطبيعة الإنسان**: خلق الله الإنسان وجعل في تكوينه الحاجة إلى عبادة الله دون شريك، وجعل الإيمان بالله ومحبته مصدر قوة الإنسان وصلاحه وسعادته. والإنسان لا يشهد هذه الفطرة وحده، ولا يستطيع أن يتصرف طبقا لقوانينها بدون تعليم وتربية، ولذلك كانت الرسالة والرسل.
3. **التربية وعبادة التوحيد:** العبادة معناها الطاعة والانقياد، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والمعتقدات والأفعال والاتجاهات وهي تشمل العلاقات بين الأفراد والجماعات والأمم. وهذا المفهوم للعبادة هو الذي تسعى إليه التربية الإسلامية، من خلال نظام تربوي يحتوي على العلم والعمل سواء. والنموذج الأمثل لهذا النظام التربوي متضمن في القرآن والسنة. المصدران اللذان يجب أن تستمد التربية أصولها منهما.

**الفصل الثالث عشر: الأهداف العامة للتربية**

تتطابق أهداف التربية- عند ان تيمية- مع الفلسفة التربوية لديه. وتتحدد أهداف التربية عنده في ثلاثة أهداف رئيسية:

* **تربية الفرد المسلم:** الفرد المسلم – عند ابن تيمية- إنسان يفكر ويحس ويعمل في كل موقف وفي كل وقت كما يأمر القرآن والسنة. وهو يعيش من أجل عقيدته الإسلامية، ويموت في سبيلها. قدوته في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم.
* **إخراج الأمة المسلمة:** وأساس التربية في بناء هذه الأمة- في كل جيل- هو بناء شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفرادها طبقا للصورة التي حددها القرآن والسنة للمجتمع المسلم المنشود.
* **الدعوة للإسلام في العالم:** ووسائل هذه الرسالة الإصلاحية تقوم على أمرين أساسيين: الأول؛ نشر العلم والمعرفة التي جاء بها القرآن. والوسيلة الثانية لرسالة الإصلاح هي الجهاد؛ شريطة أن تكون غايته أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

**الفصل الثالث عشر: المنهاج**

الأساس في تخطيط المنهاج- عند ابن تيمية- أن يتعلم أبناء المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله. وتميز المنهاج عند ابن تيمية بالخصائص الآتية:

1. تكامل العلوم الدينية والعقلية:
2. ميادين المناهج: تنقسم حسب العلوم التي تحتوي عليها إلى أربعة أقسام، هي:

أولا: ميدان العلوم الدينية ثانيا: العلوم العقلية (كالرياضيات، والطب، وعلوم الأحياء، والفيزياء، والعلوم الاجتماعية، وغيرها ثالثا: العلوم العسكرية رابعا: الصناعات والمهن.

ويلاحظ أن كلا من التربية الدينية والتربية العقلية والتربية العسكرية والتربية المهنية تتكامل- عند ابن تيمية- لغاية واحدة، وهي إخراج الأمة المسلمة، وتأهيلها لحمل رسالة الإسلام إلى العالم.

1. تنظيم المنهاج

اقترح هذا التنظيم تزويد المتعلم بمستوى عقائدي وأخلاقي رفيع، يوجه سلوكه وممارساته مهما تنوعت أعماله ووظائفه بعد ذلك.

1. تنوع المنهاج

فرق ابن تيمية بين ما يتعلمه الذكور وما يتعلمه الإناث، فهناك مهن يجب ألا يتعلمها النساء، لأنها مختصة بالرجال.

1. علوم مستثناة من المنهاج

وهي العلوم التي تتعارض مع تعاليم الإسلام أو تؤدي إلى اهتزاز قيمه بين الدارسين. أما هذه الموضوعات فهي: 1- الفلسفة والمنطق التي تكمن في التراث اليوناني2- الموسيقى والغناء: يضيف ابن تيمية أن التجربة أثبتت أن الموسيقى والغناء لهما تأثير الخمر في سكر الروح وتحريك الشهوات وإثارة العداوة والحقد، وتنحرفان بالإنسان عن ذكر الله وعبادته. ولا يفهم من ذلك أن ابن تيمية يحرم الغناء جملة، ويدعو إلى نبذه من الحياة جملة، ولكنه يريد وضعه حيث وضعه الإسلام مضمونا وزمانا ومكانا3- الشعر: وهو كالموسيقى يحرك الشهوات ويهيج الغرائز والرغبات وثير الكره والحقد والعشق. فالشعر أداة منعة ولهو لا أداة تربية. وينطبق على الشعر- عند ابن تيمية- ما ينطبق على الغناء من حيث وضعه حيث وضعه الإسلام4- منهن منهي عنها: شدد ابن تيمية على استبعادها من التعليم والحياة جملة، كصناعة الخمور، وصناعة آلات الموسيقى، وصناعة التماثيل والصلبان.

**الفصل الرابع عشر: لغة التعليم**

دعا ابن تيمية إلى وجوب الاقتصار على اللغة العربية وحدها في التعليم والكلام. ذلك أن اتقان العربية هو مطلب إسلامي وفرض عين كان السلف يعاقبون أبناءهم من أجله. واللغة العربية هي أشرف اللغات. فالله سبحانه أوحى كتابه باللغة العربية، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين الأوائل الوحي باللغة العربية، وحملهم على النطق بها. ولهذا أصبحت معرفة اللغة العربية جزءا من العقيدة.

كذلك عبَّر ابن تيمية عن معارضته الشديدة لاستعمال الأسماء والمصطلحات غير العربية في الأيام والشهور والأشخاص وغير ذلك. ودعا إلى تجنب الأسماء الأجنبية ومقتها. وأجاز أن يكون هناك مختصون باللغات الأجنبية لأهداف الترجمة الكتابية والكلامية في الدعوة والمراسلات الحكومية. ويترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهم معانيها.

ودعا ابن تيمية إلى تعويد الناشئة على العربية الفصحى منذ النشأة وفي المراحل الأولى للتعليم. ويضيف ابن تيمية أن اللغة تؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا بيِّنا، وتؤثر كذلك في مشابهة صدر الأمة من الصحابة والتابعين، وأن مشابهتهم تزيد في العقل والدين والخلق. ويخلص ابن تيمية إلى أن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، لأن فهم القرآن والسنة فرض، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**الفصل الخامس عشر: طرق التربية وأساليبها**

تنقسم طرق التربية- عند ابن تيمية- إلى طريقين رئيسيين: الطريقة العلمية، وطريقة الإرادة.

1. **الطريقة العلمية:**

يعرف ابن تيمية" الطريقة العلمية" بأنها صحة النظر في الأدلة والأسباب الموجبة للعلم. وتقوم هذه الطريقة على أمور ثلاثة:

الأول: إصلاح أداة العلم؛ وهو القلب، ويكمل عمله السمع والبصر.

الثاني: الإحاطة التامة بموضوع التعليم؛ فالمعرفة الجزئية أخطر من الجهل الكامل.

الثالث: توفير فرص العمل والتطبيق؛ ومن هذا المبدأ كان التشديد على التمسك بالقرآن والسنة.

هناك مجموعة من الأساليب التربوية التي تندرج تحت الطريقة العلمية؛ وهي تتنوع طبقا لمستويات المتعلمين ودرجة معرفتهم واتجاهاتهم نحو موضوع التعلم. وهذه الأساليب هي: 1- أسلوب الحكمة 2- الموعظة الحسنة 3- الجدال الأحسن.

1. **طريقة الإرادة:**

يعرفها ابن تيمية بأنها الطريقة الموجبة للعمل، والمتعلم فيها يسمى "المريد" والغاية الرئيسية فيها هي تربية إرادة المتعلم حتى لا تتحرك إلا حيث أمر الله، ولا تريد إلا ما يحبه الله سبحانه وتعالى.

وتعرف الإرادة عند ابن تيمية بأنها: قوة الرغبة والاختيار التي تحرك الإنسان وتوجه سلوكه نحو قصد معين. وهي نتيجة للتوازن بين ثلاث قوى: القوة العقلية، وقوة الغضب، وقوة الشهوات.

وتربية الإرادة الكريمة – عنده- يستدعي وجود هدف كريم يتفق مع مكانة الإنسان، باعتباره أشرف المخلوقات. فالمراد هو الله! والوسائل الموصلة إليه هي ما أمر الله به الرسول من عبادات شرعها الله على لسان رسوله.

وتربية الإرادة يتطلب أيضا البيئة الكريمة، وهذا يعني أن تتعاون جميع المؤسسات العاملة في ميدان التربية.

**أساليب في طريقة تربية الإرادة**: الأساليب التي يقترحها ابن تيمية في تربية الإرادة يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. دراسة القرآن وفهمه.
2. الصدقة والإنفاق.
3. ترك الفواحش.
4. ترك المعاصي.
5. العبادات.

**ميادين طريقة الإرادة:**

1. تنمية الإيمان: ويكون ذلك بالزهد أو العلم أو الإيمان، والناس يتفاضلون في هذا الباب.
2. تعليم الفضائل الإسلامية: وتعليم هذه الفضائل يجري طبقا لنظام خاص وترتيب معين خلاصته أن يبدأ المتعلم بما أمر الله به من " الفضائل والمباحات". وأول الفضائل التي يجب التركيز على تعليمها: الصدق في طلب الحق والتمييز بينه وبين الضلال. وثاني الفضائل التي يجب تعميقها في نفس المتعلم: محبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، والرضا عنه، ونحو ذلك. وثالث الفضائل: الزهد، ومعناه فعل المأمور به وترك المنهي عنه. ورابع الفضائل: الورع؛ ومعناه: اتقاء ما يكون سببا للذم والعذاب، وأداء الواجب المطلوب. وخامس الفضائل: الرضا بالقدر، وقد شجع عليه القرآن، لكن لم يجعلها واجبا. وسادس الفضائل: الصبر. وهذه الفضائل الست هي الأصول أو الأمهات، وعنها تتفرع فضائل كثيرة لا تحصى.
3. **تزكية النفس من أصول الرذائل:** وتتركز أصول الرذائل في أمرين: الشهوة والغضب. والمقصود بكونهما أصلا الرذائل هو: الإفراط وتجاوز الحد في استعمالهما.

**ج- تكامل الطريقة العلمية وطريقة الإرادة**

إن تطبيق كل من الطريقتين: الطريقة العلمية، وطريقة الإرادة يقتضي مراعاة أمرين: الأول، تكامل الطريقتين؛ والثاني، استرشاد كل طريقة بالمنهاج النبوي. يقول ابن تيمية:" من طلب علما بلا إرادة، أو إرادة بلا علم فهو ضال. ومن طلب هذا وهذا بدون اتباع الرسول فيهما فهو ضال".

**الفصل السادس عشر: آداب العالم والمتعلم**

1. **آداب عامة للعالم والمعلم:**
2. العلماء هم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، ومن خلالهم تستمر رسالته ويبقى منهجه.
3. على المعلمين أن يكونوا قدوة للتلاميذ في الصدق والتزام الأخلاق.
4. على المعلمين أن ينشروا علمهم بدون إهمال أو تهاون.
5. يجب على المعلمين أن يتعاهدوا علومهم بالحفظ والزيادة وعدم النسيان.
6. **آداب المتعلم**
7. يجب على المتعلم أن يحسن نيته في التعليم، وأن يقصد به وجه الله تعالى.
8. يجب على المتعلم أن يعرف حرمة أستاذه، ويشكر إحسانه إليه.
9. على المتعلم أن يقبل كل علم نلفع مهما كان مصدره.
10. لا يجوز للمتعلم أن ينكر على المذاهب الأخرى، أو ينظر إليهم باعتبارهم جهالا وضالين. ولا يجوز له أن يعتقد أن العلم الصحيح والإرشاد مقتصر على جماعته. فالطريق الصحيح هو ما جاء به القرآن والسنة.

**الفصل السابع عشر: التربية والتراث**

عالج ابن تيمية التراث من وجهة نظر عالمية تناولت كل ما تركته الأمم والأجيال السابقة. ولذلك قسَّم التراث إلى ثلاثة أقسام: الأول، تراث أهل الكتاب، والثاني: القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح، والثالث: تراث الفقهاء والمفكرين الذين سبقوا عصر ابن تيمية.

أما القسم الأول: فالموقف منه أن يسمع ويروى منه ما يوافق القرآن والسنة على سبيل الاستئناس والتأكيد، أما إثبات حكم على أساسه فلا يجوز.

والقسم الثاني: أي القرآن والسنة فهو حق لا باطل فيه، ويجب اتباعه ولا يجوز ترك شيء منه، وليس لأحد الخروج عن شيء مما فيه.

والقسم الثالث: يشتمل على ما انحدر من الأوائل من الفلاسفة اليونان وأمثالهم من الفرس والهنود وغيرهم، وما أنتجه العلماء والشيوخ في العصور التي تلت عصر السلف الصالح وسبقت عصر ابن تيمية. وهذا فيه الحق والباطل، وهو لا يقبل كله ولا يردّ كله.

لقد قام ابن تيمية باستنباط مقياس خاص لتمحيص التراث الإسلامي استخرجه من القرآن والسنة، وأعمال السلف الصالح؛ وهو ما عرف باسم: السلفية، وعني به: الأجيال الثلاثة الأولى في الإسلام.

وانطلاقا من هذا المقياس قام ابن تيمية بمسح تاريخي دقيق لتطور العلوم الإسلامية. ويرى ابن تيمية أن عامة(البدع) أو الانحرافات في ميادين العلوم الإسلامية إنما وقع في أواخر خلافة الراشدين بسبب الخلل الذي تسرب إلى استقامة ولاة الأمور، ثم كانت الخطوة الثانية حين استشرى الخلاف السياسي وحدثت الفتن، فظهرت بدعة (القدرية والمرجئة).

ثم كانت الخطوة الثالثة، وفي هذه الفترة انقرض جيل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وانقرضت معهم اتجاهات الفكر الإسلامي المستنير، وخرجت ولاية الأمر عن العرب. وبدأ عصر الترجمة وتأثير العقائد الغريبة من كتب الفرس والهند والروم؛ فدخل الانحراف في العلوم الجديدة: "الرأي"، و"الكلام"، و"التصوف".

ثم كانت الخطوة الرابعة: حين جرد المتأخرون من علماء "الكلام" و"التصوف" ما وضعه المتقدمون من الأصول الإسلامية. فلم يذكروا إلا الأصول المبتدعة وأعرضوا عن الكتاب والسنة.

**الفصل الثامن عشر: الانفتاح على خبرات الآخرين**

في الوقت الذي دعا ابن تيمية إلى المحافظة على الطابع المميز للثقافة الإسلامية، فإنه شدد على الانفتاح على علوم الآخرين، وندد بالتعصب والجمود اللذين شاعا في عصره وحشد لذلك معارفه الشرعية، والعقلية وقدراته الذهنية؛ لأن أعلم العباد هو الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى. وأجاز ترجمة أفكار غير المسلمين، ليعلم ما عندهم، وينتفع به في مخاطبتهم ومناظرتهم. ويكون ذلك عن طريق المختصين المسلمين.

**الفصل التاسع عشر: منهج المعرفة**

أعطى ابن تيمية – منهج المعرفة- الكثير من اهتماماته، وناقش جوانبه في مواقع كثيرة من مؤلفاته، خاصة كتاب: درء تعارض العقل والنقل. والواقع أن تسرب الخلل والاضطراب إلى-منهج المعرفة- كان أهم مظاهر الأزمة الفكرية والتربوية التي نزلت بالفكر الإسلامي، في أعقاب الانقسام والتمزق الذي أصاب التصور الإسلامي- ابتداء من القرن الرابع الهجري- وأفرز المذاهب والفرق والطرق والشيع، فمضت كلها تتراشق بأجزاء منهج المعرفة الإسلامي، وتضع كل جزء في مواجهة الآخر. وانعكس ذلك على الواقع الثقافي والعقائدي في المجتمع الإسلامي، وفرّق المسلمين إلى شيع وطرائق متناحرة متنابذة.

جاء ابن تيمية والأزمة على أشدها، وأسوأ آثارها، فأعطى لها من تفكيره وعلمه مستهدفا في ذلك كله إرجاع العقل المسلم إلى سلامته وأصالته التي كان عليها في عصر السلف، وتمكينه من التوجه الصائب نحو المعرفة وتطبيقها.

**الفصل العشرون: إلزامية نشر التعليم**

يجب على أهل العلم أن يبلغوه وينشروه، ولا يضيعوا شيئا منه، لأن ذلك من أعظم الظلم للناس والحيوان. وإذا ترك أهل العلم نشر التعليم كانوا كأهل القتال الذين يتركون الجهاد، ولذلك جبل الله قلوب الأمة على أن تستعظم جبن الجندي وفسوق العالم.

ولا يقتصر هذا الواجب على تخصص دون آخر، وإنما يشمل جميع المتخصصين في العلوم الدينية وغير الدينية.

**الفصل الحادي والعشرون: نقد الفكر التربوي المعاصر**

بالرغم من نشأة ابن تيمية وتربيته في إطار المذهب الحنبلي، فإنه لم يلبث أن استقل في تفكيره واتجه مباشرة للأصول الإسلامية المتمثلة بالقرآن والسنة، وتطبيقات السلف الصالح. ولقد رفض أن ينسب إلى مذهب معين أو جماعة خاصة.

وانطلاقا من هذا الموقف أباح ابن تيمية لنفسه الاجتهاد وانتقاد المذهبية السائدة والثورة ضد البدع والتقليد الذي وقعت فيه مدارس التربية التي عاصرها مستهدفا العودة بالتربية إلى منابعها الصافية في القرآن والسنة. وانطلاقا من هذا الموقف شن ابن تيمية هجوما شاملا ضد مدارس الفكر المعاصر له وانتقد أفكارها ومناهجها؛ فانتقد مدرسة الفقهاء، وانتقد مدرسة الصوفية، وانتقد مدرسة الفلاسفة، وانتقد مدرسة علماء الكلام، وانتقد التربية الشيعية.

**الباب الخامس**

**الخلاصة: ملاحظات وإسهامات**

عاش ابن تيمية في الفترة الواقعة ما بين 661ه-728ه، وأمضى حياته في كل من سوريا ومصر وشارك بفاعلية مؤثرة عميقة في الحياة العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية، حتى أصبح- بحق- أحد مشاهير أعلام الإسلام في العلم والفكر والاجتماع.

ولقد امتاز ابن تيمية بين أقرانه من العلماء المعاصرين بثلاثة أمور:

الأول: الصلة الوثيقة بالقرآن والسنة ومنهج السلف من الأجيال الثلاثة الأولى في الإسلام؛ فأكسبه هذا كله- بالإضافة إلى ما أوتي من قوة الذكاء وصفاء في التفكير- وضوحا في الرؤية وسدادا في البحث والنظر.

الأمر الثاني: أن ابن تيمية في تفكيره كان يعكس حاجات مجتمعه وعصره، ويتفاعل معهما بإيجابية مؤثرة فعالة.

الأمر الثالث: الذي ميز ابن تيمية بين أقرانه المعاصرين، أنه في معالجاته التربوية والفكرية؛ تناول كلا من الفرد والمجتمع سواء. بعد قرنين تقريبا انزوى خلالها المربون والمرشدون والمدرسون والوعاظ على معالجة شؤون الفرد وأخلاق الفرد، وركزوا على آخرة الفرد ومصيره، أم دور الأمة المسلمة الحضاري ورسالتها العالمية بين الأمم الأخرى، فقد انسحب الباحثون من ميادينها.

ولإعادة بناء التربية الإسلامية على أسس إسلامية صحيحة بلور ابن تيمية مجموعة من الآراء والمبادئ في ميادين أصول التربية وفلسفتها والمناهج والتعليم وطرائق التعليم، وغير ذلك من الميادين التربوية. ولقد تميزت آراؤه في هذا المجال بأمور ثلاثة:

الأول: أنه اعتقد أن التربية يجب أن تركز على بعث عقيدة التوحيد وتطهير حياة الأمة من البدع والانحرافات، كمقدمة لتأهيل الأمة لحمل رسالة الإسلام مرة ثانية.

والثاني: أن مقياس التربية السليمة هو قيامها على أصول مستمدة من القرآن والسنة وانسجامها مع تطبيقات السلف.

والثالث: أن التربية لا يمكن فصلها عن التوجيه العام للمجتمع.

وفي ضوء هذه المعايير الثلاثة ناقش ابن تيمية – في أعماله الواسعة- مفاهيم التربية الإسلامية وأصولها وترك آثارا في هذا الميدان. وميزة هذه الآثار أنها مازال فيها الجدة والمرونة ما يؤهلها للإسهام الفعال في النهضة التربوية التي يتطلع إليها العالم الإسلامي اليوم. وتتمثل هذه الآثار الإيجابية في الآتي:

1. أقام ابن تيمية الأصول التربوية باعتبار أن وظيفة التربية هي إعداد الأمة الإسلامية لحمل رسالة الإسلام إلى العالم كله.
2. لقد عالج ابن تيمية مفهوم التربية بتصور أوسع مما كان يشار إليه على أنه تربية وتعليم. حيث لا يفصل التربية عن الثقافة والتوجه العام (التثقيف العام).
3. إن كثيرا من أفكار ابن تيمية في التربية يمكن أن ترفد الفكر التربوي المعاصر على المستوى العالمي.
4. وأخيرا، من الواضح أن ابن تيمية قد عمل جادًّا لبلورة أصول تربوية ومقاييس تربوية يمكن أن تستند إليها نظم التربية الإسلامية. وأنه مما يميز هذه التجربة هو المحافظة على الأصول الإسلامية، ثم مراعاة مقتضيات التغير التي يمر بها المجتمع، وتلبية متطلبات التنمية وحاجات التقدم العلمي والتكنولوجي.

إن ما يحتاج إليه العالم العربي والإسلامي، مزيد من البحث في الأصول والتراث بهدف فهم أعمق للأصول التربوية في التاريخ الإسلامي؛ وبذلك يتمكن من إقامة نظم تربوية ومفاهيم تربوية أصلية في انتسابها للماضي، مرنة في تلبيتها لحاجات الحاضر، قادرة على تحديد مسارات المستقبل.

**ثمرات الكتاب وفوائده:**

* البحث في الفكر التربوي عند ابن تيمية أمر هام وضروري لسببين: **الأول؛** أن ابن تيمية هو أحد مشاهير أعلام الفكر الإسلامي. ومازالت تعاليمه وآراؤه تبعث الحركة والنشاط في الحياة العقلية والثقافية كلما ضربها الركود وآلت إلى الجمود. **والسبب الثاني:** أن الدوائر التربوية المعاصرة في العالم العربي تبينت بعد تجربة طويلة في الميدان التربوي ضرورة الاعتماد على الأصول الإسلامية في بناء أنظمتها وأنشطتها التربوية.
* العوامل التي أثرت في تطور الفكر التربوي حتى عصر ابن تيمية: 1-إستراتيجية الفتوحات الإسلامية2- حركات الشعوبية المضادة 3- التفاعل مع ثقافات البلاد المفتوحة وظهور علوم جديدة 4- المذاهب والتعصب المذهبي.
* يمكن تلخيص الخصائص العامة للأوضاع التربوية زمن ابن تيمية كما يلي: كانت جميع المدارس القائمة-آنذاك- مذهبية الطابع، والتفَّ أتباع كل مذهب حول شخصية معينة، واعتبر الفقهاءُ الصوفيةَ طوائف منحرفة ضالة، بينما نعت الصوفيون الفقهاء بأنهم مقلدون، يعبدون الأوراق والحروف. وجمدت المفاهيم التربوية وتوقفت عن التفاعل مع حاجات البيئة، وأصبحت تربية الفرد محور المناهج والأساليب والمؤلفات. وطوَّر الشيعة مفاهيمهم التربوية الخاصة، وترجمت طائفة الباطنية الإسماعيلية هذه المفاهيم إلى أعمال وأساليب، شكلت تحديا خطيرا للسنة في ميادين التربية والتعليم، إلى جانب التحدي العسكري.
* منهاج ابن تيمية في الإصلاح، هو: أ-الدعوة للإصلاح السياسي ب- الدعوة للعدالة الاجتماعية ج- محاربة انحراف الصوفية وجمود الفقهاء
* يمكن أن نلخص الأسباب الحقيقية لخصوم ابن تيمية في ثلاثة أسباب: الأول: حسد الأقران من الفقهاء والقضاة ورجال المذاهب، والثاني: رغبة المتآمرين على دولة المماليك في تصفية عناصر القوة ورجال الإصلاح، والثالث: طبيعة العلاقات بين سلاطين المماليك وأمرائهم، وبين ابن تيمية.
* تعرض ابن تيمية للمحنة في الفترة الواقعة بين 693 - 728 ه، فقد أدخل السجن ست مرات على فترات متقطعة، بلغ مجموعها ست سنوات.
* الأساس الذي تقوم عليه فلسفة التربية عند ابن تيمية هو أن العلم النافع هو أساس الحياة الرشيدة الفاضلة. والعمل بهذا العلم هو الذي يقيم هذه الحياة ويمنحها البقاء والاستمرار.
* الدعائم التي تقوم عليها فلسفة التربية عند ابن تيمية، هي: التوحيد، طبيعة الإنسان، العبادة
* تتحدد أهداف التربية عنده في ثلاثة أهداف رئيسية: تربية الفرد المسلم، وإخراج الأمة المسلمة، والدعوة للإسلام في العالم.
* الأساس في تخطيط المنهاج- عند ابن تيمية- أن يتعلم أبناء المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله.
* تميز المنهاج عند ابن تيمية بتكامل العلوم الدينية والعقلية، وأن التربية الدينية والتربية العقلية والتربية العسكرية والتربية المهنية تتكامل- عند ابن تيمية- لغاية واحدة، وهي إخراج الأمة المسلمة، وتأهيلها لحمل رسالة الإسلام إلى العالم.
* دعا ابن تيمية إلى وجوب الاقتصار على اللغة العربية وحدها في التعليم والكلام. وأجاز أن يكون هناك مختصون باللغات الأجنبية لأهداف الترجمة.
* تنقسم طرق التربية- عند ابن تيمية- إلى طريقين رئيسيين: الطريقة العلمية، وطريقة الإرادة.
* عالج ابن تيمية التراث من وجهة نظر عالمية تناولت كل ما تركته الأمم والأجيال السابقة.
* في الوقت الذي دعا ابن تيمية إلى المحافظة على الطابع المميز للثقافة الإسلامية، فإنه شدد على الانفتاح على علوم الآخرين، وندد بالتعصب والجمود اللذين شاعا في عصره.
* أعطى ابن تيمية – منهج المعرفة- الكثير من اهتماماته، وناقش جوانبه في مواقع كثيرة من مؤلفاته،
* الواقع أن تسرب الخلل والاضطراب إلى-منهج المعرفة- كان أهم مظاهر الأزمة الفكرية والتربوية التي نزلت بالفكر الإسلامي، في أعقاب الانقسام والتمزق الذي أصاب التصور الإسلامي- ابتداء من القرن الرابع الهجري
* بالرغم من نشأة ابن تيمية وتربيته في إطار المذهب الحنبلي، فإنه لم يلبث أن استقل في تفكيره واتجه مباشرة للأصول الإسلامية المتمثلة بالقرآن والسنة، وتطبيقات السلف الصالح. ولقد رفض أن ينسب إلى مذهب معين أو جماعة خاصة.